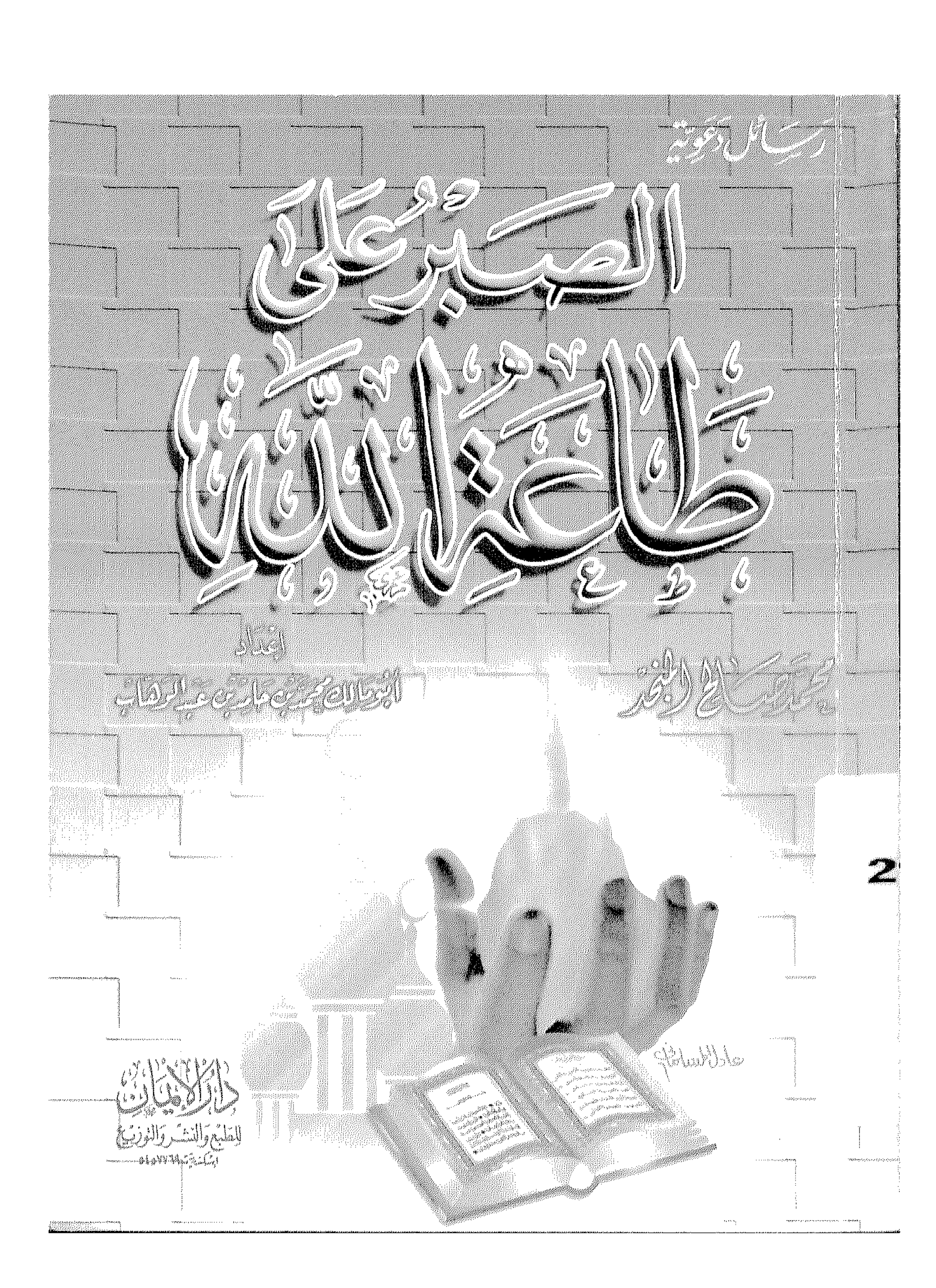

رسائل دعوية
الصبر على
طاعة الله
إعداد
محمد صالح المنجد
أبو مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية



سلسلة الرسائل الدعوية



تأليف
محمد صالح المنجد

إعداد
محمد حامد محمد



للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩٠

رقم الإيداع ١٤٣٦٥ /٢٠٠٢

التـرقيـم الـدولـى

977 - 5191 - 71 - 73

دار الإيمــان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩
تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦٠
E mail : dar_aleman@hotmail.com



هـاتـف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، سيد الصابرين ، وإمام المتقين، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم أما بعد :

فلما كانت الدنيا دار بلاء وشقاء وعناء ، والآخرة دار قرار وجزاء ، فلا يسلم المؤمن في هذه الحياة الدنيا من المصائب والرزايا ، فمن في الدنيا لم يُصَبْ بمصيبة ؟! .

المرءُ رهنُ مصائبٍ لا تنقضي
حتّى يُوَسَّدَ جسمه في رمسه
فمُؤجَّلٌ يلقى الرَّدى في غيره
ومُعَجَّلٌ يلقى الرَّدى في نفسه

فهذه سُّنة الله فى عباده ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، وللصبر أنواع ، وللنفس مع أحوال ، وكفى بالصابرين شرفاً بأن الله معهم ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال : ٤٦] .

وكان جزاؤهم بغير حساب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وفى هذه الرسالة يطوِّف بنا **فضيلة الشيخ/ محمد المنجد - حفظه الله- مع الصبر** وأنواعه وأحوال الناس معه ، وكيف يكون المرء صابراً وغيرها من النقاط التى تجدها بداخل الرسالة .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها ، هو ولي ذلك ونعم الوكيل .

كتبه

محمد حامد محمد

أهمية الموضوع :

عندما نؤدي هذه العبادات لله عز وجل ، يشعر الإنسان المسلم بتثاقل وهو يؤدى هذه العبادات ، يشعر بأنه عليه مشقة كبيرة جداً بأداء صلاة الفجر مثلاً ، وأداء صلاة الجماعة فى المسجد ، وكل فريضة يؤديها فى وقتها ، وهو يُخرج الزكوات والصدقات ، يحس بأنه يجاهد نفسه لكي يخرج هذه الأموال ، فيشعر بمشقة ، وكذلك إذا دعى داعي الجهاد فى سبيل الله وجدت الأمر صعباً ، وكذلك إذا جاء الإنسان المسلم الذي هداه الله عز وجل ليستقيم على شرع الله ويلتزم بأحكام الله ، وجد المجتمع يؤذيه من كل جانب ، ووجد أقرب الناس إليه وأحب الناس إليه يؤذونه ويثبطونه فى المضي فى هذا الطريق ، وامرأة مسلمة هداها الله للإسلام تريد أن تلتزم بالحجاب الكامل ، تحس بأن الالتزام بالحجاب صعب جداً ، وتاجر مسلم يريد

أن يطهر أمواله من الربا وينقيها من الحرام يحس بأن هذا الأمر شاق وصعب وشديد ، الإنسان مع إخوانه فى الله وهو يعيش معهم ، قد ينزغ الشيطان بينهم فى أشياء كثيرة وتعاملات عديدة فلا يعجبه تصرف من هذا أو قولة من ذلك ... .

إلى آخر هذه الأمور التى تحدث مما يجعل الإنسان يفكر أحياناً فى أنه يترك إخوانه فى الله مثلاً ، فكونه يجلس معهم ويجاهد نفسه للبقاء معهم أمر عسير وصعب وشاق .

هذه الأمور وغيرها أيها الأخوة مزاولتها تحتاج إلى صبر شديد .

هذا الصبر الذى سوف نتكلم عنه هذه المرة ..

هذا الصبر الذى يُسَهِل هذه الأمور ، وهو الذى يذلل الصعاب أمام المسلم وهو يسير فى طريقه إلى الله تعالى .

معنى الصبر

هذه الكلمة معناها فى اللغة :

المنع والحبس ، ويقال صبر يصبر صبراً ، وصبّر نفسه ، كما قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] ، ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ معناها : احبس نفسك وامنع نفسك عن ترك هؤلاء ، اصبر نفسك معهم ، احبسها معهم .

ويقال : هو « حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والقلب عن السخط » ، وكذلك « الصابر أو الصبر » هذه اللفظة فى اللغة لها اشتقاقات كثيرة ، تتعلق بما نحن فى صدده من بيان معنى الصبر ، فمن اشتقاقاتها مثلاً: صبر وتصبّر ، واصطبر وصابر وغيرها من الاشتقاقات، وكثير من هذه الألفاظ وردت فى القرآن الكريم .

الفروق بين هذه الألفاظ :

يقال للإنسان : « صبر » إذا أتى بفعل الصبر ، وإذا تصبّر إذا تكلف الصبر واستدعاه وتكلف حضوره ، وهذه اللفظة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فى الفتاوى هى المعنى الوارد فى قول الله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فقال : البأس : هو الفقر ، والضراء : كل الأذى الذى يحصل للبدن مثل المرض وغيره ، فالصابرين فى البأساء والضراء يعني: المتصبّرين على البأساء والضراء ، الذى يصبر ويتكلف الصبر وهو يعيش فى جو البأساء ومرارة الحاجة ، هذا يسمى متصبراً لأنه استجلب الصبر واستدعاه وتكلف حضوره .

وكذلك يقال اصطبر فى اللغة : يعنى تعلم الصبر ، فكون الإنسان يجلس ويتعلم الصبر ويحاول أن يكتسب الصبر ، فإنه يسمى مصطبراً .

وهذه اللفظة تقودنا إلى شيء مهم جداً ، هل الصبر خلق يُكتسب ؟ ، أم هو خلق فطري يولد مع الإنسان ولا يمكن الزيادة فيه ولا النقصان منه ؟! .

هل الصبر قضية مغروزة فى الإنسان لا يمكن أن تزيد ولا تنقص ؟! أم أن الصبر الصحيح فى هذه المسألة أن الصبر من الفطر التى يفطَر الناس عليها ، فترى بعض الناس من طباعهم أن يصبرون ، وترى بعض الناس من طبيعتهم أنهم لا يصبرون ، لكن الصبر بالإضافة إلى هذه النقطة يمكن تعلمه واكتسابه ، بمعنى أن يكون الإنسان غير صابر فيتعود على أشياء معينة ويتعلم أشياء معينة تصل به إلى اكتساب الصبر ، ما الدليل ؟! يقول ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى : « **من يتصبّر يُصبّره الله** »[1] ، فإذاً الرسول ﷺ يقرر بأن الإنسان يمكنه أن يتصبر ، بمعنى يعلّم

(١) البخارى (٣/٢٣٥ فتح) الزكاة ، ومسلم (٧/١٤٤نووى) الزكاة .

نفسه الصبر ، ويكافح حتى يصل إلى المرحلة التى يتعلم فيها أو يكتسب فيها هذه الخصلة وهى الصبر .

فإن المزاولات تعطى هذه الملكات التى فى النفس ، ومن زاول شيئاً واعتاده وتعود وتمرن عليه صار مُلكاً له وسجية وطبيعة كما يقول ابن القيم رحمه الله : « وقد جعل الله فى الإنسان قوة القبول والتعلم لهذه الطبائع ، إلا أنه من الممكن تعلم هذه الطبائع واكتسابها على أنها طبائع ، غير أن العبد أحياناً إذا كان نزقاً [1] لا يصلح ، ثم حاول أن يكتسب الصبر ويتعود ويتطبع بالصبر ، فقد يكون انتقاله هذا من عدم الصبر إلى الصبر قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه الأصلى بأدنى باعث [بأقل استفزاز تجد العبد يعود إلى عدم الصبر الذى كان سجية له] وأحياناً يكون التصبر هذا فيه قوة بحيث لا يعود إلى سجيته الأولى

---

(١) النزق : الخِفة والطيش .

التي هى عدم الصبر والحدة إلا أن يكون في موقف قوي بحيث يخرجه عن هذا التصبر إلى سجيته الأولى التى كان عليها ، وأحياناً يكون التعلم والاكتساب للصبر قوي جداً ، بحيث يملك على الإنسان نفسه ولا يعيده إلى ماكان عليه في الماضي » .

وإذا جئت معي إلى اللفظة الأخرى من اشتقاقات الصبر وهى كلمة « صَابَر » فهذه الكلمة تفيد وقوف الإنسان مع خصمه فى عملية الصبر ، ولذلك لفظة « صَابَر» على وزن » فَاعَل » وهذه اللفظة تعني أنه لابد من وقوعها بين اثنين على الأقل مثل شاتم يعني أن فلان شتم فلان وفلان شتمه .

عملية التسابق فى الصبر تسمى « مصابرة » والمصابرة أعلى مرتبة من الصبر لأنه من الممكن الواحد يصبر لكن لا يصابر ، يصبر إلى فترة معينة لكن لا يصبر مع خصمه إلى

النهاية فيفقد الصبر فى منتصف الطريق فلا يسمى قد صابر وإنما يسمى قد صبر ، ولذلك تأمل قول الله تعالى يتضح لك معاني لم تكن واضحة من قبل ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

هذا المقام هو مقام المرابطة والجهاد ، يأمر الله الناس أن يصبروا ويصابروا الأعداء ، لأن الأعداء قد يصبرون ، فالمؤمنون يجب أن يصابروا عدوهم حتى يفوقوهم فى الصبر والجلد فى أرض المعركة ، فالمصابرة هى حال الإنسان فى الصبر مع خصمه ، فإن العبد قد يصبر ولكنه لا يصابر .

تعريف الصبر شرعاً :

ذكر بعض العلماء أنه « خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل شرعاً » .

وقال أحد السلف : « الصبر ثبات القلب عن موارد الاضطراب » ، والصبر والجزع ضدان يقابل أحدهما الآخر ولذلك قال الله تعالى عن أهل النار : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

أهل النار عندما ينطبق عليهم العذاب من كل جانب يقول بعضهم لبعض ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا ﴾ أى فقدنا الصبر عن هذا العذاب ﴿ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ على هذا العذاب ﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ ليس هناك مهرب ولا مفر ، لأنهم لو صبروا على العذاب أو جزعوا النتيجة واحدة فالعذاب مستمر ، فإن صبرهم لن يفيد شيئاً .

وعرّف بعض العلماء الصبر بأنه الثبات على أحكام الكتاب والسُّنة ، وقال بعضهم : هو الاستعانة بالله [1] .

---

(١) انظر تعريفات الصبر فى : عدة الصابرين لابن القيم – رحمه الله – .

الصبر يحول الأخلاق السيئة إلى حسنة :

● والصبر إذا كان صبراً على شهوة الفرج فإنه يصبح عفة « تأمل الآن كيف أن الصبر يقلب الصفات الذميمة إلى صفات حسنة » ، إذا كان صبراً على شهوة الفرج فإنه يسمى عفة ، وضدها الفجور والزنا .

● وإن كان الصبر على شهوة البطن وعدم التسرع فى الطعام أو تناول ما لا يحسن الإنسان أن يتناوله ، فإنه يسمى شرف نفس وشبع نفس وضد الشرف والدناءة .

● وإن كان صبراً على إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام فإنه يسمى كتمان سر ، وعكسه إذاعة السر وإفشائه أو اتهام الناس أو سبهم وفحشهم والكذب عليهم وقذفهم ، وهذا كله ضد صبر النفس ، وصبّر اللسان عن التكلم بما لا يحسن التكلم به شرعاً .

● وإن كان صبراً على فضول الدنيا فإنه يسمى زهداً .

● وإن كان صبراً على قدر يكفي من الدنيا ، فإنه يسمى قناعة ، وإن كان صبراً على الإجابة لداعي الغضب فى النفس فإنه يسمى حلماً .

● وإن كان صبراً عن داعي العجلة والتسرع فإنه يسمى وقاراً وثباتاً .

● وإن كان صبراً عن إجابة داعي الفرار والهرب فإنه يسمى شجاعة .

● وإن كان صبراً عن إجابة داعي الانتقام فإنه يسمى عفواً وصفحاً .

فتأمل معى كيف أن هذا الصبر هو الذى يقلب الأخلاق السيئة فى النفس إلى أخلاق حسنة ، وهو الذى يداوي الأمراض النفسية ويجعلها تصل بالنفس إلى مراحل عليا .

أنـواع الصبـر

والصبر ينقسم إلى نوعين :

١ – صبر بدني .   ٢ – صبر نفساني .

وكذلك ينقسم إلى نوعين آخرين من جهة أخرى :

١ – صبر اختيارى .   ٢ – صبر اضطرارى .

فلو رتبنا هذه الأنواع على بعضها لخرج عندنا أربعة أنواع :

[١] الصبر البدني الاختياري :

صبر يتعلق بالبدن ، لكنه اختياري يمكن أن يفعله الإنسان ويمكنه ألا يفعله ، مثل الصبر على تعاطي الأعمال الشاقة كحمل الأشياء الثقيلة فهذا صبر بدني اختياري من الإنسان .

[٢] الصبر البدني الإضطراري :

يكون صبراً بدنياً لكنه اضطراري ، كإنسان أُخذ وعُذب وضُرب ، فهو الآن يُضرب من قبل الذى يضربه ، فهذا صبر بدني واضطراري .

[٣] الصبر النفساني الاختياري :

كصبر الإنسان على حبس النفس، مثلاً عن الغضب ، هذا النوع من الصبر نفساني واختياري .

[٤] الصبر النفساني الاضطراري :

كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه ، مثل إنسان أراد أن يهاجر فى سبيل الله ولكنه حُبس أن يهاجر إلى أقوام صالحين ، أو حبس عن إتيان شيء من الأشياء المحمودة شرعاً .

فهذه الأنواع الأربعة بعضها يجتمع فى الحيوان وبعضها لا يكون إلا فى الإنسان ، فهناك نوعان لا يكونان

إلا في الحيوان وهما :

● البدني : هذا من صبر الحيوان .

● والاضطراري : أيضاً من صبر الحيوان لأنه ليس له اختيار .

فإذاً بعض الناس عندهم صبر بدني ، وهذا النوع لا يكون محموداً دائماً من هذا القبيل ، مثلاً تجد بعض الكفرة أو بعض الناس الذى يجرون وراء الماديات لديه استعداد أن يصبر فى العمل والكد ويشتغل فى اليوم ١٢ ساعة أو ١٤ ساعة ، مثلاً سائق شاحنة يسافر ويتنقل ويصبر على هذا التعب .

هذا الصبر ليس محموداً دائماً ، هذا الصبر فيه من صبر الحيوانات ، بل إن بعض الحيوانات القوية تصبر بدنياً أكثر من صبر الإنسان ، وكذلك الصبر الاضطراري ، الحيوان يصبر على الألم ويصبر على الأذى ، يصبر اضطراراً

وليست هذه الأنواع التى ترفع الإنسان إلى المكانة العليا إلا إذا قصهد بها وجه الله .

فما هى الأنواع التى يفترق فيها الإنسان عن الحيوان؟

[١] الصبر النفسى .

[٢] الصبر الاختياري .

الأمور التى تحتاج إلى مصابرة فعلاً هى المصابرة النفسية على ميول النفس وعلى هوى النفس ، وكذلك على الأمور الاختيارية التى يمكن للإنسان أن يفعلها أو لا يفعلها ، وهو مع ذلك يفعلها فى الخير ، هذه الأمور التى تفرق بين الإنسان والحيوان ، فالإنسان إذا صابر باعث الهو ودفع باعث الهوى ... صار مثل الملائكة فى هذا الجانب ، وإذا عليه باعث الهوى والشهوة فإنه يصبح مثل الشياطين ، وإذا غلبه طبع الأكل والشرب والجماع فقط ، فإنه يصبح مثل البهائم .

أقسام الصبر

[١] صبر على طاعة الله .

[٢] صبر على معصية الله « أي لا يرتكبها » .

[٣] صبر على أقدار الله [(١)] .

نحن كلامنا سيتركز على القسمين الأولين ، الصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية ، وهذه الثلاثة أنواع اجتمعت فى آية واحدة ، وهى قول لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه :

قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان : ١٧] .

فإن فى قوله ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فعل

---

(١) انظر رسالتنا « تسلية المصاب » من مطبوعات دار الإيمان .

الطاعة والصبر عليها ، ﴿ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ غير معقول ينهى عن المنكر وهو يفعل المنكر !! ، فمعنى هذا أن لقمان عليه السلام يوصى ابنه بالصبر على المعصية ، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ هى الصبر على أقدار الله التى تصيب الإنسان .

هذه الأقسام : الصبر على الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار هى واجبة أم مستحبة ؟ أم مكروهة ؟ أم محرمة ؟! .

هى واجبة ، يجب على الإنسان أن يصبر على هذه الأقسام ، يصبر على الطاعة ، مثل أن يصبر على الصلاة وعلى الزكاة .

وكذلك يصبر عن المحرمات ، مثل أن الصبر عن الشهوات ، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فى الفتاوي فى مسألة الاستمناء يقول : من فعل الاستمناء تلذذاً أو تذكراً أو عادةً بأن يتذكر فى حال

استمنائه صورةً كان يجامعها [يتخيل صورة امرأة مثلاً وهو يجامعها] ويستمنى ، فهذا كله محرم لا يقول به أحمد ولا غيره ، [لأن المشهور فى مذهب الحنابلة أن الاستمناء مباح] فيقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : وهذا لا يقول به أحمد ولا غيره .

والصبر على هذا من الواجبات لا من المستحبات ، والصبر عن المحرمات واجب ، وإن كانت النفس تشتهيه وتهواه ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٣] ، الاستعفاف : هو ترك المنهي عنه ، وقد سبق أن ذكرنا : أن شهوة الفرج إذا صبرت عليها تصبح عفيفاً ، فإذا صبرت عن هذا الأمر المحرم فإنك تصبح عفيفاً ، فإذاً هذه الأشياء واجبة وليس مستحبة أو مكروهة .

أيهما أفضل الصبر الاضطراري ؟ أم الصبر الاختياري ؟ .

هل الصبر على الطاعة التي يمكن أن تفعلها ويمكن أن لا تفعلها أفضل ، أم الصبر مثلاً على مرض أصابك أو على بلية حلت بك ؟ .

كلاهما واجب ، ويجب الصبر في كل الحالات ، لكن أيهما أفضل ؟ .

يقول ابن تيمية - رحمه الله - والصبر الاختياري أكمل من الاضطراري ، ولهذا كان صبر يوسف الصدّيق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز أفضل وأكمل من الصبر على ما ناله من الحبس أو على ما ناله من إلقاء إخوانه له في الجُب ، وكذلك كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على ما أنالهم الله من الأوامر وأعطاهم من الشريعة باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم

لأقوامهم أكمل من صبر أيوب على ما ناله في الله من ابتلاء « فصار صبر هؤلاء أكبر من صبر أيوب عليه السلام » ، وكذلك كان صبر إسماعيل الذبيح وصبر أبيه إبراهيم على تنفيذ أوامر الله عز وجل أكمل من صبر يعقوب على فقد ولده « لأن صبر إبراهيم وإسماعيل صبر اختياري ، كان من الممكن أن ينفذ الذبح وأن لا ينفذ الذبح ، وبإمكان إسماعيل أن يعترض ، وأن لا يعترض ولكنهما أسلما الله عز وجل ، وصبرا صبراً اختياراً ، صبر إيثار ومحبة الله عز وجل بخلاف صبر يعقوب على فقد ولده يوسف فإنه صبر اضطراري ، لأنه فقد ابنه فماذا يمكنه أن يفعل ؟ » .

وهكذا إذا أُوذي المسلم على إيمانه وطُلب منه الكفر ، أو الفسوق ، أو العصيان ، وإن لم يفعل أُوذي وعُوقب فاختار الأذى والعقوبة على فراق دينه كان هذا أفضل ، كما كان فعل المهاجرين حيث اختاروا فراق الأوطان على فراق الدين ، وكانوا يعذبون ويؤذون .

هـذا كله من أنواع الصبر الاختيـاري العظيم الأجـر جداً ، وقد أُوذي النبى ﷺ بأنواعٍ من الأذى ، فكان يصبر عليه صبراً اختيارياً ، فإنه إنما يُؤذَى لأنه لا يفعل ما يمكنه أن يفعله باختياره ، وكان من الممكن أن يتوقف عن الدعوة إلى الله عز وجل ، لكنه آثر أن يسير ويمشى فى مشوار الدعوة اختياراً ، وصبر على هذا صبر اختيار ، وكان هذا أعظم من الصبر الاضطراري .

فقد حبس المشركون النبى ﷺ وأصحابه فى الشعب ، ولما مات أبو طالب اشتدوا عليه ، فإذاً هذه الأنواع من الصبر أنواع عظيمة جداً لأن أصحابها قد اختاروا الصبر فى ذات الله عز وجل اختياراً من أنفسهم .

وهذا هو الذى يحمل الإنسان على المجاهدة فى سبيل الله عز وجل ، ولذلك كان الأمر موجه للرسول ﷺ ، وموجه لنا أيضاً : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ﴾

[الأحقاف : ٣٥] ما قال فاصبر كما صبر أيوب ، قال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ﴾ لأن صبرهم كان قمة صبر الاختيار ، وهؤلاء أولوا العزم من الذين صار عليهم مدار الشفاعة يوم القيامة ، حتى ردوها إلى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم الله صلوات الله عليهم أجمعين محمد ﷺ .

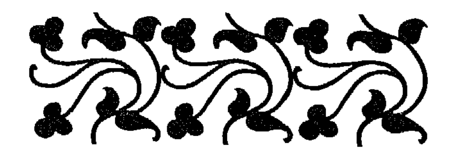
فإن قال إنسان : هل الصبر على فعل المأمور أفضل أم عن فعل المحظور ؟ .

الصبر على الطاعة أفضل من الصبر عن المعصية :

هذه المسألة اختلف فيها العلماء وترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول : « أن الصبر على فعل الطاعة أعلى من الصبر على فعل المعصية ، لأن الأصل المأمور ، وما جاء النهي عن المحظور إلا تكملة وحفظاً للمأمور » الأصل المأمور وجاء النهي عن المحرم من باب

حماية المأمور .

ويقول ابن القيم –رحمه الله – : « يكون الصبر فى وقت المأمور وفى وقت المحظور هو الأفضل ، فإذا حضرك شيء محظور صار الصبر عنه هو الأفضل فى ذلك الوقت، وإذا حضرك شيء مأمور به صار الصبر عليه هو الأفضل فى وقته » .



تقسيم آخر للصبر

قسم بعض العلماء - كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين - الصبر إلى ثلاثة أنواع :

[١] صبر لله .

[٢] صبر مع الله .

[٣] صبر بالله .

فأما الصبر بالله :

فإن الله إذا لم يصبّرك لم تصبر ، ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] ، لأن الله إذا لم يصبرك لم تصبر ، فالصبر أصلاً أتى من الله عز وجل هو الذى يرزقك الصبر .

وأما الصبر لله :

فهو أن يكون لوجه الله ، فإن بعض الناس قد يصبرون

عن أشياء لكن ليس من أجل الله ، فقد يصبر على فعل الصلاة رياءً ، فيجب أن يكون صبره لله [١] .

وأما الصبر مع الله :

فهذا بعض الصوفية يعرّفونه تعريفات منحرفة ولكن يوجه ابن القيم - رحمه الله - هذه القضية فيقول : الصبر مع الله يعني مع أوامر الله بحيث يدور الإنسان المسلم معها حيث ما دارت ، فأينما توجهت به الأوامر توجه معها ، فهذا الإنسان يكون صبره دائماً مع الله عز وجل ، حيثما توجهت به الأوامر توجه معها ، فهذا الإنسان يكون صبره دائماً مع الله عز وجل ، حيثما كانت مرضاة الله فهو يصبر ، وهناك أمور أخرى في الصبر لابد للإنسان المسلم فقط منها .

---

(١) ومنه صبر المرأة السوداء التي كانت تصرع على عهد النبي ﷺ وقصتها انظرها عند : البخاري (١١٩/١٠ فتح) المرضى ، ومسلم (١٣١/٦ نووي) البر والصلة .

أحياناً يتصور الإنسان أن الصبر هو على قضية البلاء فقط ، لكن أيضاً لابد أن يتصور الإنسان المسلم أن الصبر على النعماء لا يقل شدة عن الصبر على البلاء .

ولذلك يقول بعض السلف : « ابتلينا بالضّرّاء فصبرنا ، وابتلينا بالسَّرّاء فلم نصبر » ، أحياناً الإنسان فى مواجهة التحدي وفى مواجهة المصاعب يصمد ويصبر ، ولكن إذا فتح عليه من زهرة الدنيا وزينتها لا يصبر .

ويقول بعض السلف أيضاً : « البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون » فعلاً ، قد تجد بعض الكفار يصبرون على البلاء ، قد تجد كافراً لا يتسخط ولا يشتكى ، لكن لا يصبر على العافية إلا المخلصون فعلاً والصديقون ، فإذا جاءتك نعمة الله عز وجل فكيف يكون صبرك عليها ؟.

[١] تكون بألا تركن إليها ولا تغتر بها ، هذا من

الصبر في حال النعمة .

[٢] ألا تنهمك في نيلها وتبالغ في استقصائها ، كمن يبالغ في الأكل والشرب والجماع حتى يؤدي ذلك إلى ضد ما يتمناه ، فيؤدي به الإفراط في الأكل والشرب إلى التخمة وإلى أن يضطر أن يمنع نفسه عن الأكل والشرب ، ويؤدي به الإفراط في الجماع إلى استنزاف قواه وخور قواه العقلية أيضاً ، ولذلك لابد أن يحفظ الإنسان نفسه ولا يُفرط في هذه الأشياء .

[٣] الصبر على أداء حق الله في هذه النعم ، حتى لا يضيّع الإنسان هذا الحق فيسلبها الله منه ، وكذلك يصبر عن صرف هذه الأشياء في الحرام هذا كله من صبر النعمة .

وكان بعض الصالحين يحمل في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة فيطالعها إذا غفل مكتوب فيها : ﴿ وَاصْبِرْ

لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] فإن الإنسان قد يصبر كما ذكرنا فى الضراء لكن لا يصبر فى السراء ، فيجب أن يكون الصبر ملازماً أو مصاحباً له فى جميع الأحوال ، والصبر من أشق الأشياء على النفوس وهذه المسألة التى سنذكرها الآن مهمة جداً .

قوة النفس :

النفس فيها قوتان قوة إقدام وقوة إحجام .

النفس فيها قوة تجعل الإنسان يقدم وكذلك فيها قوة تجعل الإنسان يحجم ، فيجب على الإنسان - بعملية الصبر - أن يجعل قوة الإقدام مصروفة على الأشياء التى تنفعه ، وقوة الإحجام يجعلها بالصبر إحجاماً عما يضره ، ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به أقوى من صبره على ما يضره ، فلذلك تجد بعض الناس يصبرون على مشقة الطاعة ولكنهم لا يصبرون عن المعصية ، فهو قد

تحكم في قوة الإقدام ، ففعل الطاعة ، لكن لا يتحكم بصبره في قوة الإحجام فيقع في المعاصي .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : « فكثير من الناس [وهذه حالة عجيبة موجودة عند بعض الناس فعلاً] يصبر على مكابدة قيام الليل ويصبر على الطاعة في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ، ولكنه لا يصبر على نظرة محرمة ، وكثير من الناس له صبر عن المعاصي ولكنه ليس له صبر على الطاعات ، فقد تجد بعض الناس يصبر عن الشهوات ، ولكنه لا يستطيع أن يصبّر نفسه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين » ، وهذا أيضاً حاصل .

والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين :

[١] القوة التي تدعوك لعمل هذا العمل .

[٢] سهولة عمل هذا الفعل بالنسبة للإنسان .

فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه

أشق شيء على الصابر ، لو كان الداعي إلى الفعل قوي جداً والفعل أمر سهل ومتوفر ، فعند ذلك : الصبر في هذا الموقف يكون في أعلى الدرجات .

وإن فُقدا معاً ، ولم يجد القوة التي تدفعه لعمل هذا الشيء المحرم ، وأيضاً هذا الأمر صعب جداً لا يكاد يوجد ، فيكون الصبر في هذا الأمر سهل لأن ليس هناك قوة تدفع لهذا العمل ، وفي نفس الوقت هذا العمل صعب جداً أن يتوفر وبذلك يكون الصبر سهلاً جداً .

وبحسب تفاوت العامل الأول والثاني يتفاوت الصبر وقد يوجد أحدهما ويفقد الآخر ، فمثلاً هناك أناس ليس لديهم دافع للقتل أو السرقة ، وفي نفس الوقت القتل والسرقة قد يكونا غير متوافران ، ففي هذه الحالة يكون الصبر سهلاً ، وقد يكون الداعي إلى هذا العمل أحياناً قوي وسهل فيكون الصبر عليه صعب، ولذلك كان صبر السلطان على الظلم ، وصبر الشباب عن الفاحشة ، وصبر الغني عن اللذات

والشهوات ، كان صبرهم عند الله بمكانة عظيمة ، لأن الإنسان في مكان السلطة في مكان المنصب يكون داعيه إلى ظلم الناس كبير .

فكونه يصبر نفسه ويكون إماماً عادلاً صارت عملية الصبر عنده عظيمة ، ولذلك صار من السبعة الذين يظلهم الله .

الشاب الذى يصبر على الفاحشة ، الرجل الذى دعته امرأة ذات منصب وجمال لنفسها فقال : « إنى أخاف الله » هذا الشاب داعي الفاحشة في نفسه قوي ، لأنه شاب وهذه المرأة هى التى تدعوه إلى الفاحشة ، فطريق الزنا سهل ، فلما صبر أصبح من الذين يظلهم الله ، فصار صبر هؤلاء السبعة عند الله بمكان لأنه اجتمعت عندهم العاملان: صار الداعى قوي ، والفعل متوفر وسهل ومتيسر ، ومع ذلك صبروا .

وهذه المسألة مهمة – أيها الإخوة – لأنها هى التى تعلل لنا لماذا الناس يصبرون على طاعات كثيرة لكنهم لا يصبرون عن آفات اللسان مثلاً .

لماذا صار الصبر عن آفات اللسان صعباً ؟ لأنه متيسر ، حركة اللسان سهلة جداً ، فلذلك صارت آفات اللسان والكلام فى عيوب الناس من فاكهة بعض الناس ، فكثير من الناس يقعون فى الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والثناء على النفس ، وتزكية النفس ، مع أنهم يصلون مع الناس فى المساجد ، ويؤدون الزكاة ويصبرون فى الصيام ، ويفعلون أشياء كثيرة بل قد يدعون إلى الله ، وقد يصبرون على المشاق ، لكن عندهم آفات اللسان متفشية ، لماذا ؟! لأن قضية اللسان سهلة ومتيسرة فلذلك يقع فيها الإنسان فكان الصبر فى هذه الحالة قوياً جداً ، فإذا صارت المعاصى اللسانية معتادة للعبد فإنه يعز عليه الصبر عنها .

ولهذا يقول ابن القيم – رحمه الله – : « ولهذا تجد

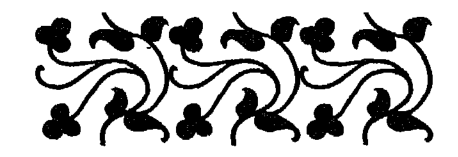
الرجل يقوم الليلى ، ويصوم النهار ، ويتورع عن استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة [ولو جئت بوسادة حرير لا يمكن أن يستند عليها ولو للحظة واحدة] ، ولذلك يتورع عن الدقائق من الحرام ، والقطرة من الخمر ، ومثل رأس الإبرة من النجاسة [لو أصابه نجاسة ولو بقدر إبرة لذهب واغتسل] ، ولكنه إذا جاء إلى مسائل الغيبة والنميمة ، والتفكه في أعراض الخلق أطلق فيها لسانه [لسهولة العملية] ، وكما يحكى أن رجلاً اختلى بامرأة أجنبية فلما أراد مواقعتها قال : « يا هذا غطي وجهك فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام » !! فعنده الدافع إلى الشهوة قوي قضاء الوطر لكن تورع بزعمه وقال : غطي وجهك يا هذه فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام ثم يقع عليها ويواقعها وهذا كله من الورع الفاسد » .

هذا يسمى ورعاً فاسداً ، وهذا من باب ما أخبر به ابن

عمر - رضى الله عنهما - « أن أناساً من قطاع الطرق يقصدون الحج ويسألوني عن قتل المُحرم للقمل !! [يسألون عن حكم قتل القمل للمحرم وهم من قطاع الطرق] فقلت يا عجباً لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التى حرم الله قتلها ، ويسألوني عن قتل القملة فى الإحرام » .

ما هو السبب ؟ هناك بعض الناس فيهم هذا الانحراف فعلاً ، عندهم هذه الازدواجية العجيبة وعندهم مثل هذا الورع الفاسد ، ما هو السببب ؟! .

السبب أن المسألة تعود إلى قوة الدافع وسهولة حصول الأمر .



ثمرات الصبر

الصبر له أهمية عظيمة ، فالذي يتدبر آيات الله في كتابه العزيز يجد جانباً كبيراً من هذه الأهمية فتجد أن الله عز وجل يأمر به فيقول : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّه ﴾ [النحل : ١٢٧] ، ونهى عن ضده فقال : ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، وقال : ﴿ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، نهى عن ضد الصبر وعلّق الفلاح على الصبر فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] وأخبر عن مضاعفة الأجر للصابرين بأضعاف مضاعفة وبغير حساب ، فقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : ٥٤] ، بل إن أجرهم يضاعف بغير حساب

كمـا قـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

قال أحد السلف : كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر لأن الله قال : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ولذلك كان أجر الصوم غير مقدّر كما يقول الله عز وجل فى الحديث القدسي : « **كل عمل ابن آدم لـه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** » (١) ، ثواب غير مقدّر لأن الصوم يتعلق أساساً بالصبر ، هو عبارة عن حبس النفس ومنعها عن الطعام والشراب والجماع والغيبة ... إلخ ...

بل إن الله علّق الإمامة فى الدين على الصبر واليقين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة : ٢٤] .

---

(١) جزء من حديث عند مسلم (٢/صوم/٨٠٧/ح ١٦٤) .

والإمامة معناها أن يأتم الناس بهم ويقتدون ، فإذا أراد الشخص أن يكون إماماً في الناس يُقتدى به فعليه أن يأخذ الصبر بالدرجة الأولى ، ولذلك كان من أقوال ابن تيمية -رحمه الله - المشهورة « بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين » (١) ، بل إن الله جعل للصابرين ظفراً ليس مثله ظفر وهو الظفر بمعيته عز وجل فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وجمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي :

١ - صلاة منه عليهم .

٢ - ورحمته لهم .

٣ - وهدايته إياهم .

---

(١) وقال ابن عيينة : لما أخذوا برأس الأمر ، صاروا رؤوساً .

والدليل : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧]، فجمع لهم ثلاثة أشياء ما جمعها لأحد غيرهم ، صلوات من ربهم ورحمة واهتداء .

وكذلك جعل الله الصبر عوناً لنا فقال : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] ، فجعله عون وزاد وسلاح ، وعلق النصر على الصبر فقال عز وجل : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) ﴾ [آل عمران : ١٢٥] .

وأخبر سبحانه وتعالى أن الملائكة تُسلّم على المؤمنين فى الجنة لصبرهم والدليل : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

(٢٤) ﴾ [الرعد : ٢٤] صبرتم في الدنيا ؟ على الطاعة وعن المعصية وعلى أقدار الله تعالى – المصائب – .

وكذلك جعل الله أهل محبته هم أهل الصبر فقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

وأخيراً أن خصال الخير لا تجتمع ولا تعطى ولا تلقّى إلا للصابرين ، جاءت في موضعين في القرآن :

فيقول الله عز وجل في قصة قارون عن العلماء أنهم كانوا يقولون للذين يريدون الحياة الدنيا ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] .

وكذلك قال الله عز وجل عمن صار بينه وبين أخيه عداوة فعامله بالحسنى قال : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا

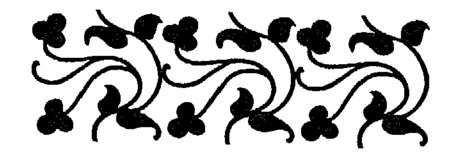
وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [فصلت : ٣٥] .

فإذاً خصال الخير كلها تجتمع فى الصابرين ، وأخبر عز وجل بأنه لا ينتفع بآياته إلا أهل الصبر فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] ، والله عز وجل قرن بين الصبر وبين أشياء عظيمة « عندما تجد الشيء مقترن بشيء عظيم فإن هذا يدل على عظمته هو » فقرن الله الصبر بالتقوى ، وقرن الصبر بالعمل الصالح ، وقرن الصبر بالمرحمة .

فمن اقتران الصبر بالتقوى قوله عز وجل : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٨٦) ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، وقال : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف : ٩٠] ، وكذلك قرن الله الصبر بالعمل ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ

يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾ [يونس : ١٠٩] .

وقرن بين الرحمة والصبر ،فقال عز وجل: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١٧] .



أقسام الناس في الصبر والرحمة

[١] قسم يصبر ولا يرحم .

[٢] قسم يرحم ولا يصبر .

[٣] قسم لا يصبر ولا يرحم .

[٤] قسم يصبر ويرحم .

فيقول ابن تيمية - رحمه الله - في ذلك كلاماً جميلاً :

« إذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والفساد [يصبرون ويجالدون ولكنهم لا يرحمون] ، ومنهم من يرحم ولا يصبر كأهل الضعف واللين [مثل كثير من النساء ومن يشبههن] ، فمن طبيعة النساء أنهم يرحمن ولكنهن لا يصبرن ، فقد تجد المرأة فاسقة والعياذ بالله لكن إذا رأت طفلاً يحتاج إلى إرضاع وجائع رحمته

وأرضعته ، وقد تكون من الذين لا يصبرون على الفواحش ، [وهذه خصلة في المرأة أكثر من الرجل ، ينبغي على المرأة الانتباه إليها أنها قد ترحم ، ولكن لا تصبر ، فلا تعتبر نفسها عندما ترحم أنها بخير إذا كانت من غير أهل الصبر ، يجب أن تجمع إلى رحمتها الصبر أيضاً] ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع ، [ناس قساة يصبرون وعندهم جلد ، لكنهم عندهم هلع لا يصبرون أيضاً] والمحمود هو الذى يصبر ويرحم » .

والصبر هو زاد في طريق الدعوة إلى الله عز وجل .

كما قال صاحب الظلال - رحمه الله - :

الصبر على أشياء كثيرة ، الصبر على شهوة النفس ، ورغباتها وأطماعها ، ومطامعها وضعفها ونقصها وعجلتها وملالها من القريب [فهى تمل بسرعة] ، الصبر يكون في مجالات كثيرة ، مجالات شتى من أعظمها الصبر على

شهوة النفس ، وكذلك الصبر على شهوات الناس ، ونقصهم ، وضعفهم ، وجهلهم ، وسوء تصورهم ، وانحراف طبعهم ، وأثرتهم ، وغرورهم ، والتواءهم ، واستعجالهم الثمار فالداعية الذى داعية يدعو إلى الله عز وجل ، لابد أن يصبر تماماً على ما يواجهه من الناس ، سيواجه من الناس أشياء كثيرة : أولاً : شهواتهم ، وكذلك يجب الصبر على جهل الناس ، فإذا لم تصبّر نفسك على جهل هؤلاء فإنك ستيأس من دعوة أولئك الناس ، وكذلك سوء تصوراتهم ، فالناس عندهم سوء فى التصور ، تصوراتهم فى العقيدة ، فى القضاء والقدر ، تصوراتهم فى مغفرة الله ورحمته، تصوراتهم السيئة فى أشياء كثيرة جداً ، الناس عندهم غرور ، عندهم التواءات نفسية عندهم مزالق عندهم ... لابد من الصبر على التواءات الناس ، وكذلك الصبر على تنفس الباطل، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ، وغلبة الهوى ، وعلى تصعير الغرور والخيلاء ، فإن الإنسان

إذا رأى انتفاشة الباطل ولم يكن عنده صبر فإن هذا الأمر سيؤدي به إلى اليأس والقنوط وفقد الأمل تماماً فى الوصول بالأمة إلى المرتبة التى يريدها الله عز وجل ، والصبر على قلة الناصر وضعف المعين ، وطول الطريق ، ووسواس الشيطان ، فى ساعات الكرب والضيق [كل كلمة من هذه الكلمات تحتاج إلى دروس كاملة] .

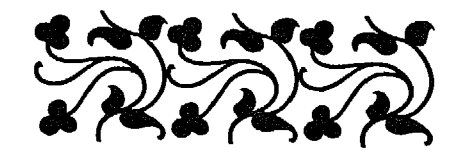
طريق الشر قصير وسهل ، وطريق الخير طويل وشاق وصعب ، ووسواس الشيطان وشيء من النفس الأمارة بالسوء وشيء من القرين الذى يأمرك بالشر قرين الجن ، والشيطان وأهل الشر الذين يزينون للناس الشر ، والصبر على مرارة الجهاد ، وهذا كله انفعالات متنوعة من الألم والغيض والحنق والضيق والصبر بعد هذا كله على ضبط النفس فى ساعة القدر والغَلَبَة والإنتصار ، لأنك قد تصل إلى مرحلة تغلب وتنتصر وتتمكن ، لذلك قال الله عز وجل لنبيه ﷺ :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [سورة : النصر] .

استغفره من الأشياء التي حصلت فى الماضى من الأخطاء والزلل والمعاصي ، واستغفره مما يحصل فى النفس من زهوة النصر ، من الزهو والخيلاء والفخر ... لذلك أيها الأخوة الصبر لا ينقطع فى جميع مراحل الدعوة حتى لو وصلت إلى مرحلة التمكن والعلو فى الأرض ، فإن الصبر لا ينقطع مطلقاً ، واستقبال الرخاء في توضاع وشكر وبدون خيلاء ، والبقاء فى السراء والضراء على صلة بالله عز وجل والاستسلام لقدره ، ورد الأمر إليه كله فى طمأنينة وثقة وخشوع ، الصبر لابد منه ، الصبر أوله مرّ ولكن آخره حلو جميل المذاق ، والزرع لا ينبت ساعة البذر إذا وضعت البذرة لا تنبت فى الحال ، لابد للزارع أن يصبر حتى تنمو

بذرته وتشتد على سوقها وتقوم ، والجنين يظل فى بطن أمه تسعة أشهر ، يظل حتى يكتمل نموه وحتى يستوي خلقه .

ولهذا يا أيها الأخوة ، لهذا السبب لابد من الصبر فى أشياء كثيرة ، أشياء الآن لو كتبنا وفصلنا فيها سوف يطول المقام .



أمور تقابل الصبر

من الأشياء المقابلة والمعاكسة للصبر « عملية الاستعجال » ، كثير من الناس « وحتى الدعاة إلى الله » يستعجلون الثمرة ، يريدون من الناس أن يلتزموا بالإسلام بسرعة ، ويريدون من الناس أن يتمسكوا بسرعة ، ويريدون من الناس أن يتركوا المنكرات بسرعة ، بدون صبر على هؤلاء الناس .

هذا لا يحصل ، بل إنه حتى لو التزم هؤلاء الناس يريدون منهم أن يرتقوا فى مدارج العلم بسرعة ، وفى مدارج التربية بسرعة ، وإلى مرحلة التصورات الصحيحة ، وإلى مرحلة العمل للإسلام ، بسرعة كبيرة ، يريدون نقلهم أن ينقله نقله بعيده فى وقت قصير جداً ، هذه العملية بدون صبر لا تصلح ، ولذلك ترى ثمرات هؤلاء العاملين

الذين فقدوا الصبر فى هذه المواقف ثمرات ناشئة غير ناضجة لعملية الاستعجال المنافية للصبر .

أحياناً الإنسان يتسرع فيحكم على الناس بالخطأ ، أحياناً يتسرع فلا يعذرهم ، ولو أنه صبر لكان خيراً له ، أحياناً الإنسان يتسرع ويهاجم ، حتى طالب العلم يحتاج إلى صبر ، يحتاج إلى الصبر فى أشياء كثيرة .

أحياناً الإنسان يتسرع ويأخذ علماً من العلوم وهناك ما هو أهم منه ، فلابد أن يصبر ويتروى ، وأحياناً الإنسان يأتى ليقرأ فيمل فلابد أن يصابر نفسه .

كيف وصل العلماء الكبار إلى حالات عجيبة من الصبر على طلب العلم ، كيف كان بعضهم له خمسة دروس فى اليوم والليلة متواصلة غير وقت الطلب الخاص به ، كما كان النووي - رحمه الله - له حوالي عشرة دروس متواصلة يبحث فيه بنفسه ويقرأ فيها بنفسه .

والشيخ الشنقيطي – رحمه الله – كان له أكثر من خمسة دروس متواصلة غير وقت الطلب الخاص به ، وكيف يجلس علماء الحديث يصبرون على طلب الحديث الواحد ويسافرون في طلب الحديث الواحد الشهور حتى يصلوا إلى مبتغاهم .

وهذا الشيخ الألباني –رحمه الله – من علماء الحديث المعاصرين ، كان يجلس في المكتبة الظاهرية ليبحث عن حديث ينتقل من رف إلى رف ، يجلس على السلم [لأن المكتبة رفوف] قرابة خمس ساعات متواصلة وهو يبحث في المجلدات على الرفوف داخل المخطوطات بهذا الخط الدقيق الصعب القراءة حتى يصل إلى نتيجة ما (١) .

كيف وصل هؤلاء الناس إلى هذه المرتبة ؟ ، إنهم لم

---

(١) ارجع إلى كتاب « أحداث مثيرة في حياة العلامة الألباني » من مطبوعات دار الإيمان ، وانظر : صفحات من صبر العلماء ، لعبد الفتاح أبو غدة .

يصلوا إليها إلا بالصبر على طلب العلم ومجاهدة النفس .

اصبر على ما كرهت تخطى بما تهوى فما جازع بمعذور
إن اصطبار الجنين فى ظلم الأحشاء أفضى به إلى النشور

والمسلم الداعية الذى لا يعرف الصبر داعية فاشل ، لا يعلم سُنن الله تعالى ، فإذا استحكمت الأزمات ، وتعقدت حبالها ، وترادفت الضوائق ، وطال الليل ، فالصبر على الهدى والحق هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط والهداية الواقية من القنوط .

وكذلك أيها الأخوة : عاش السلف – رحمهم الله – فى أجواء التربية ، الصحابة رضوان الله عليهم عاشوا فى أجواء التربية ، يتنقلون من مرحلة إلى مرحلة ، كان رديفهم الصبر دائماً ، ولذلك وصلوا إلى هذه المراتب العالية ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وجدنا خير عيشنا بالصبر » أحسن العيش والأوقات كانت فى الصبر .

فلابد من هذا الدواء الذى أوله مرّ ولكنه فى النهاية حسن الطعم جداً .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم هذا الأمر العظيم من أمور الدين ، وأن يجعلنا من الصابرين المصابرين المصطبرين فى ذات الله وأن يجعل صبرنا لله وبالله ومع الله ، وهذا آخر ما تيسر ذكره من الكلام على مسألة الصبر .

ومن شاء الزيادة فليرجع إلى كتاب « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » .

وتكلم ابن تيمية وكذا تكلم ابن القيم –رحمهما الله– فى « مدارج السالكين » عن منزلة الصبر وغيرهم من علماء السلف .

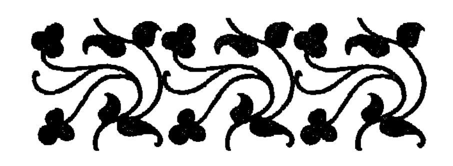
فمن شاء الزيادة فليراجع لمثل هذه المراجع وغيرها ، وأفضل ما يمكن للإنسان أن يعلم به حقيقة الصبر هو «المعايشة اليومية للمشاكل التى تواجهه » مشاكل

اجتماعية ، مشاكل مع نفسه ، مع الشهوات ، مصارعات لهذه الشهوات ، مع الناس ، فى الدعوة إلى الله ، امرأة تصبر على الحجاب وزوجها يثنيها عنه ، وامرأة تريد أن تطلب العلم وتريد أن تجعل من بيتها بيتاً مستقيماً ، وقد لا توفق بزوج صالح ، فلابد أن تصبر نفسها على هذا البلاء الذى حل بها ، الإنسان الداعية فى جميع مواقفه والمجاهد الذى يجاهد فى سبيل الله يحتاج إلى الصبر ، فأحسن مسألة أحسن قضية ، يمكن أن يتعلم الإنسان فيها الصبر قضية الممارسة والمعايشة اليومية لأحداث الحياة ولا تكاد تتأمل حادثة من حوادث الحياة التى تمر بك إلا وتحس بأن الصبر هو المفتاح لما أغلق ، وهو الدواء لكل المشاكل وهو الحل لكل المشاكل التى تواجهها .

وسبحانك اللهم وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه وسلم ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الفهرس

رقم الصفحة



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

- الملخص الفقهي .
- إن منكم منفرين .
- كيف ينظم المسلم وقته .
- سلسلة تعليم الكمبيوتر للنشء ١/١٤ .
- إمعان الفكر في فضائل الذكر .
- الروضة الندية شرح متن الجزرية .
- نظرات في مسألة تعدد الزوجات .
- طوق النجاة للأسرة والمجتمع .
- هكذا علمتني الحياة .
- قصص المتصدقين .
- يمحق الله الربا .
- الابتلاء في القرآن الكريم .
- الالتزام الأجوف .
- المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج .
- خير الكلام في الصلاة على رسول الأنام .
- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج .

من مطبوعات دار الإيمان

لفضيلة الشيخ/ سلمان العودة

- رسالة إلى الأب .
- دعاة في البيوت .
- الصحوة في نظر الغربيين .
- رسالة إلى الشباب المسلم .
- نهاية التاريخ .
- ولكن كونوا ربانيين .
- مزالق في طريق الطلب .
- نسيم الحجاز في سيرة الإمام عبد العزيز بن باز .
- المزاح .
- إمام أهل السنة .

من مطبوعات دار الإيمان

لفضيلة الشيخ/ سعيد عبد العظيم

- كيف تنال السعادة الحقيقية
- كيف نحل مشاكلنا
- رسالة إلى كل عامل وموظف يؤمن بالله
- الإنارة فى الحج والعمرة والزيارة
- الكفارات أسباب وصفات
- هيا بنا نؤمن ساعة
- الوصية بالأشهر العربية
- دروس الزمان في شهر الصيام
- شرح أشرف حديث لأهل الشام
- الأتقياء الأخفياء
- الرقية النافعة للأمراض النافعة
- الصرع أسبابه وعلاجه

من مطبوعات دار الإيمان
لفضيلة الشيخ/ سعيد عبد العظيم

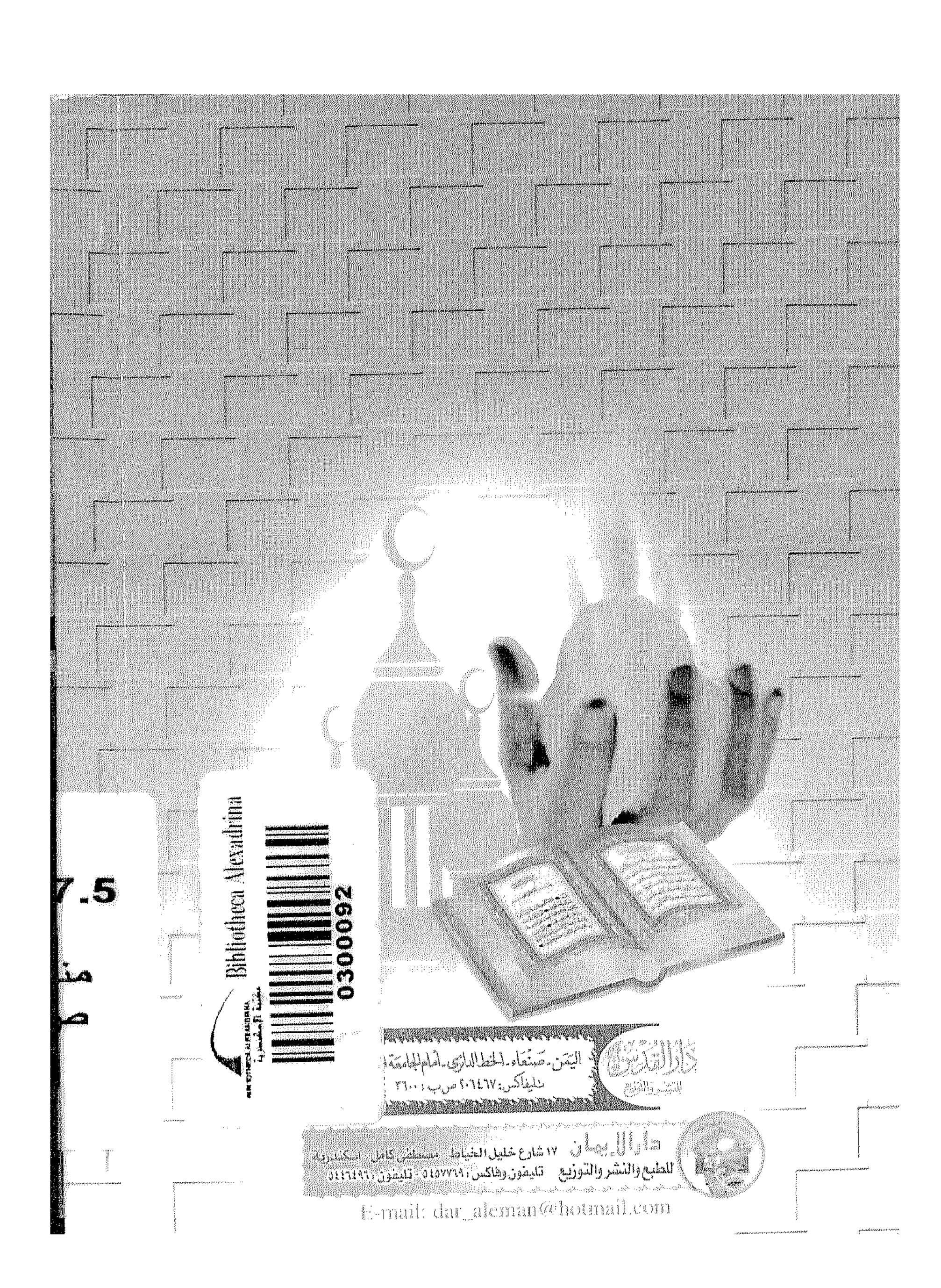
- التيسير في الخطب والوعظ والتذكير
- كيف تحقق غني النفس وسعة الرزق
- أخطاء شائعة في البيوع
- خطب الشيخ سعيد عبد العظيم
- إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب
- يمحق الله الربا
- الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية
- الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية
- تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد
- ماذا بعد رمضان
- خطورة التليفزيون
- التطواف حول معاني الصيف والإصطياف

من مطبوعات دار الإيمان

للأستاذ / عادل فتحي عبد الله

- افهم طفلك تنجح في تربيته
- كيف تكسبين قلب زوجك وترضين ربك
- الخلافات الزوجية (حلول عملية)
- ٣٥ نصيحة للفتاة في سن المراهقة
- زوجات النبي قطع كبير (قياس٢١×٢٩)
- كيف تعيش حياة زوجية سعيدة
- محرمات استهانت بها النساء
- كيف تذاكر بطريقة علمية
- كيف تفكر بطريقة علمية
- قصص القرآن الميسرة جـ١ (قياس٢١×٢٩)
- قصص القرآن الميسرة جـ٢ (قياس٢١×٢٩)
- العشرة المبشرون بالجنة (قياس٢١×٢٩)





Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
03000092
دار القدس للنشر والتوزيع
اليمن - صنعاء - الخط الدائري - أمام الجامعة
تليفاكس: ٢٠٦٤٦٧ ص.ب: ٣٦٠٠
دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com